تـمّ تحميـل هـذا الملـفّ مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –33

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات .....

الراوي (1) : هل يقف التوجيه التربوي في كتاب الله عند الأمر بتقليب النظر في خلق السماوات والأرض ؟

الراوي (2) : وهل يقتصر وحي السماء على الأمر بالحبث عن الغرض المقصود من خلق السماوات والأرض وتصوير الإنسان على أحسن صورة والتعرف إلى صفة الجد في عملية الخلق كلها ؟

الراوي (1) : وهي يرى القرآن أن رفض ظاهرة العبثية بحض العقل الإنساني على اكتشاف العلل الغائبة في كل صغيرة وكبيرة كاف لإعداد هذا العقل بحيث يرتفع إلى المستويات العالية من الإدراك المنطقي السليم والوعي بالعناية الإلهية ؟

الراوي (2) : وهل يكفي المسلم أن يطالبه القرآن باكتشاف نواميس الطبيعة مسخراً عقله في عملية الاكتشاف هذه ؟! أم أن العملية التربوية في هذا الكتاب السماوي العظيم تنسحب على ميادين أخرى جديرة بإثارة الاهتمام عند كل ذي عقل سليم ؟!

الراوي (1) : الثابت أن الكتاب الذي جاء هدى ورحمة وعلماً للناس كلهم دون استثناء قد تناول كل اهتمامات الإنسان وسلط الضوء على كل مادة من مادات العقل والقلب معاً . نجد مصداق ذلك في قوله تبارك وتعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا " ..

الراوي (2) : ولكن أين هي هذه الاهتمامات التي لم يسبق لنا أن تعرضنا لها في تنقلنا الطويل " في رحاب القرآن " ؟

نقلة موسيقية .....

محمد : نعم أيها الأبناء إن التكافل الاجتماعي في الإسلام واحد من تلك الاهتمامات الكثيرة التي لم نتعرض لها بعد ونحن نتنقل " في رحاب القرآن " الكريم .

صالح : ماذا تقصد بالتكافل الاجتماعي ؟ هل هو أن يشعر المسلم بواجبه في العمل بخطة التعاون فيعود المريض ويقبل عثرة العاثر ويعلم الجاهل وينصح من يحتاج إلى النصيحة ؟ أم هو شيء أكبر من ذلك وأوسع؟!..

سعيد : هل تسمح لي بالمشاركة في هذا الحوار يا أستاذ **محمد** ؟

محمد : طبعاً يا **سعيد** .. قل ما عندك يا بني .

سعيد : أعتقد أن التكافل الذي تقصد التربية القرآنية الى تحقيقه والدعوة إليه هو قبل كل شيء تنمية الاحساس بالمسؤولية أمام كل الأخوة والاخوات من المسلمين والمسلمات .

جاسم : وأنا أرى يا أستاذ **محمد** أن التكافل ذو أبعاد أوسع من تلك التي أشار إليها زميلي **سعيد** .. إنه لا يتناول المسلم والمسلمة وحسب بل يتناول كل الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم وطبقاتهم . نجد مصداق ذلك في قوله تعالى : ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " ...

محمد : الحق أيها الأبناء أن مفهوم التكافل في التربية القرآنية ينطلق من تسخير العقل والقلب والروح بحيث يتميز بالوعي التام بمسؤوليته كإنسان فهو متضامن مع جماعة المسلمين كما هو مسؤول عن مصير الإنسانية كلها دون استثناء. وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا في معرض تعريفه للمسؤولية ": "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " ..

صالح : فهل تأتينا بنصوص صريحة من كتاب الله ؟

محمد : قبل أن أختار هذه النصوص وهي متعددة في القرآن ألفت نظركم إلى أن الوسيلة التي توسلها الوحي في تقرير مفهوم التكافل والمسؤولية ذات شعب متعددة .

سعيد : ماذا تقصد بالوسيلة ذات الشعب المتعددة ؟

محمد : أقصد بذلك أن تقرير التكافل المسؤول قد جاء في القرآن دعوة مباشرة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. كما جاء على صورة تحذير خطير من إهمال صانعي الفتنة وتبييناً للنتائج المترتبة على مثل هذا الإهمال . ثم لا

يقف عند هذه الشعبة وتلك بل يتناول بالتفصيل جملة من الحالات التي يجب أن يتولاها العقل المؤمن وأن يتخذ منها المواقف المناسبة التي تتفق مع روح التكافل وأخلاق المسؤولية .

جاسم : هل تسمح لي بتقديم الشواهد من كتاب الله ؟

محمد : طبعاً يا **جاسم** .

جاسم : أبرز ما يطالعنا به القرآن في هذا المعنى قوله تبارك وتعالى : " وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " فهو هنا ينبه المسلم العاقل بأن السكوت عن صانعي الفتن والامتناع عن الضرب على أيديهم سيجعل المذنب وغير المذنب هدفاً لآثار هذه الفتنة ونتائجها المخربة .

صالح : وهناك آية أخرى تحكي لنا مصير بني اسرائيل حين لم يتناهوا عن المنكر ولما يأمروا بالمعروف كما في قوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (78) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (79)".

محمد : أحسنت يا **صالح** .

سعيد : والجدير بالذكر يا أستاذ **محمد** أن في الحديث النبوي الشريف ما يؤكد ظاهرة التكافل التي تحدثت عنها كما في قوله عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" .

محمد : وفي وسعك أن تضيف إلى هذا الحديث قوله عليه السلام : " إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أستجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم" .

نقلة موسيقية .....

الراوي (1) : ثم يمضي الاستاذ المحاضر فيقرر أن التكافل بين المسلمين وهو ثمرة الإحساس بالمسؤولية الدينية أمام الله مشروط بالوعي العقلي والحكمة التي تصنعها التجربة . كما ينتقل إلى تسليط الضوء على فئات من الناس وفنون من التصرفات استوعبها القرآن الكريم في جملة ما استوعبه من التفصيلات المرتبطة بخطة التكافل وأخلاق المسؤولية .

الراوي (2) : أول ما لفت النظر إليه ما جاء في القرآن من التوجيهات التي يبصر بها الوحي أمة المسلمين بأعدائها ويعلم كل فرد من أفرادها كيف يختار الصديق المعاون . هذا التوجيه نجده في آية من سورة آل عمران .

الراوي (1) : قال تبارك وتعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ(118)هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)"..

الراوي (2) : فينطلق الأستاذ **محمد** بعد تلاوته لهذه الآية الكريمة قائلاً لتلامذته : في وسعنا وقد تلونا هذه الآية أن نستبين سنة من سنن التنظيم الديني التي يحتفظ معها المسلمون بوحدتهم ويضمنون بها نجاتهم من مؤامرات المنافقين ومناورات الأعداء المبغضين .

الراوي (1) : ويمضي الأستاذ المحاضر يقول لهم : إن التكافل الديني في ضوء الاحساس بالمسؤولية يعني أول ما يعنيه أن يمتنع المسلم عن اتخاذ بطانة من أعدائه ممن لا يشاركونه عقيدته ولا يرون خيراً في دينه فهم لا يألونه خبالاً يودون لو يرهقونه من أمره عسراً . وليس هذا وحسب بل هم يتجاوزن هذا الحد فلا يخفون بغضهم وأحقادهم بل يبدون ما في أنفسهم من هذا كله وما يخفونه هو أعظم من ذلك وأكبر .

الراوي (2) : ثم ينتقل الأستاذ **محمد** إلى الجزء الثاني من النص القرآني فيقول لتلامذته : هؤلاء الأعداء الذين يحذرنا القرآن منهم ويمنعنا من اتخاذهم بطانة لنا في حياتنا اليومية وفي كل ما يشغلنا من شؤون السياسة وحماية البلاد وبناء الاقتصاد الوطني ، إن هؤلاء الأعداء يطنب القرآن في وصفهم بعقد مقارنة بين المسلمين وبينهم .

الراوي (1) : وخلاصة هذه المقارنة أن المسلمين في الوقت الذي يتصرفون فيه في ضوء عالمية الدين الذي يقتنعون فيلقون الناس جميعاً بقلوب مفتوحة ويعربون عن عاطفة الحب في نفوسهم في هذا الوقت بالذات يبيت الآخرون ممن ليسوا على دينهم كل البغض لهم .

الراوي (2) : ثم يردف قائلا : ولا عجب في أن يقابل الحب عن المسلم بالبغض عند أعدائه لسبب بسيط فهو يؤمن بكل كتاب جاء من عند الله أما الأعداء فهم ينكرون ما جاء به النبي المصطفى عليه السلام فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أما إذا خلا بعضهم إلى بعض احترقوا بغيظهم وعضوا الأنامل حقداً على المسلم . وعلى ذلك فليتركهم المسلم يموتون بغيظهم ويأكلهم حقدهم فالله عليم بما في النفوس مدرك لكل ما خفي فيها من الأفكار والعواطف .

الراوي (1) : وينتهي النص القرآني معلنا أنه ليس ما هو أكثر حباً إليهم من أن يصيب المسلم سوء وأليس أشد بغضاً إليهم منأن تمس المسلم حسنة طيبة . ثم يلتفت الوحي السماوي قائلاً للمسلم : أما أنت فلا يضرك كيدهم شيئاً أبداً ما دمت تتقي الله صادقاً وما دمت صابراً أمام البأساء والضراء وحين البأس . فالله محيط بما يعملون .

الراوي (2) : وينهي الأستاذ المحاضر تعقيبه على ما تلاه من كتاب الله قائلا : كل هذا التخدير وما يشتمل عليه من فنون التوجيه يقصد به أن يكون آية لقوم يعقلون .. إن أهمية الوحدة الدينية لا تبدو في حجمها الطبيعي إلا بفضل العقول الجادة والقلوب الواعية التي تستضيء بإشراقة الروح ونور العقيدة .

نقلة موسيقية .....

محمد : هكذا ترون بأنفسكم وتدركون بعقولكم الدور العظيم الذي يقوم به التكافل الديني المسؤول في حياة المسلم . ذلك لأن الإسلام بطبيعته يستوعب كل الأبعاد والقيم التي يجعلها بعضهم لظاهرة الجنس الواحد أو القومية الواحدة أو اللغة المشتركة الواحدة .

صالح : نحن يا أستاذ **محمد** وأن كنا نشاركك القول بما طرحته أمامنا من الرأي ولكننا حريصون على معرفة بعض الإجابات .

محمد : اسأل يا **صالح** .

صالح : ألم يسبق لك أن قلت لنا أن الإسلام دعوة عالمية وأن تشريعاته قد وضعت للإنسان يغض النظر عن انتمائه الديني ؟

محمد : بلى يا **صالح** .

صالح : إذاً كيف يدعو القرآن جماعة المسلمين إلا الامتناع عن التعاون مع كل من سواهم ؟!.

محمد : القرآن لا يمنعنا عن التعاون مع غير المسلمين ولكنه يمنعنا عن أن نجعل من هؤلاء بطانة لنا لأن الإسلام عقيدة وتشريع ومقدرات سياسية واقتصادية واجتماعية . إنه عنوان لوحدة المجتمع المسلم على ألا يحول هذا دون العدل والاحسان وتقديم العون لكل الناس .

سعيد : شكراً يا أستاذ **محمد** فقد وضح كل شيء أمامنا وقد وجدت في كتاب الله ما يؤكد صحة الرأي الذي طرحته أمامنا . كما في قوله تبارك وتعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "..

محمد : أحسنت يا **سعيد** .. وعندما تكون العودة إلى الله والرسول وإلى أولي الأمر من المسلمين شرطاً لحسم كل نزاع وإزالة كل شبهة وتوضيح كل غامض فمن الطبيعي جداً ألا يكون من نعود إليه غير من يجعل من عقيدة الإسلام وتعاليم القرآن عدته في الدنيا ووسيلته إلى الآخرة .

جاسم : هل تسمح لي بتقديم شاهد آخر على علاقة التكافل المسؤول بدين الله ؟

محمد : طبعاً يا **جاسم** ..

جاسم : إنه في آية من سورة النساء جاء فيها قوله تبارك وتعالى : " وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً "

محمد : أحسنت يا **جاسم** .. الحق أن مما يغضب الله أن تطرح قضايا الأمن أو الخوف في حياتنا العامة أو الخاصة أمام من لا يشاركنا في الدين فإن الذين يحسن بنا أن نرد مثل هذه الأمور إليه هم أولو الأمر القادرون على استنباط الحكم الشرعي واتخاذ الموقف الذي يرضي الله .

صالح : هل لك في كلمة أخيرة تلخص بها حوارنا في ندوة اليوم ؟

محمد : طبعاً يا بني : إن في وسعنا القول بأن القرآن في خطته التربوية قد حرص دائما على تربية العقل الإنساني تربية خاصة تتيح له أن يقلب الرأي في نواميس الكون وفي اكتشاف الجد المقصود من خلق السماوات والأرض وأخيراً أن يسعى إلى تدعيم التكافل والتضامن في داخل المجتمع المسلم بروح من المسؤولية فلا يأمن إلا من تبع دينه ولا يؤمن إلا لمن يشاركه في العقيدة والرأي .

موسيقى نهاية .....